

## عندما يتحول الأفراد إلى طفيليات ووحوش تلتهم الأضعف

إنها قصة مجتمع أميركي أصيب بمرض غامض. مرض حوّل غالبية الأميركيين إلى وحوش ميتة دماغياً، لكن أجسادها تتحرك بالحد الآلي من العقل. وتتنقل محاولة افتراس الفئّة الصغيرة الناجية لكي تلتهمها، أو لكي تعديها بنفس المرض بمجرد أن تعضها، تماماً كما يرونها مسلسل الرعب «الموتى السائرون» للكاتب فرانك

**يمكن تحريك ميادين اليمين ومصر لكن لا يوجد ميدان في نيويورك لا يكون ملكية خاصة**

**معادلة بين نخبة فاضلة ناجية من حقها أن تدافع عن نفسها ضد مجتمع أكثر سوءاً وخطراً**



الأميركيون يتعاطون مع الخيال بكثير من الإعتناق، كما لو أنه واقع (كارلو البرجي - رويترز)

## كابوس الجنون الأميركي الطويل

نيويورك - نزار عبود

في كوينز، نيويورك، تعلم أن الفجر قد بزغ عندما تنطلق صفارة القطار السريع الأول أو تسمع هدير طائفة أقلعت من مطار غواردا. لا لصياح ديك أو أذان مسجد. لا عواء كلب أو قطة، ولا بكاء طفل ولا حتى نقيق ضفدع. فجر اليوم الأخير قبل نهاية العام، خرقتة صيحة ألم عالية أيقظت بعض سكان الحي. كانت لرجل لا يُعرف إن كانت صادرة عن جنون أو خمر أو صادرة عن وجع. تظل رؤوس قليلة من النوافذ. في الشارع سيارة الشرطة، ومن خلفها سيارة إسعاف. يتوقف الصراخ سريعاً. هدوء يخيم يتقدم ضابط نحو سيارة الشرطة الوحيدة. ينطلق بها بهدوء. تسير من خلفها سيارة الإسعاف ومن خلفها سيارة مدنية. في وقت لاحق، تعلم أن مواطناً فقد حياته. يمضي الموكب بسكون تام، لا ترتيل لا أجراس، لا قداديس.

بعدها بقليل، تخرج ماري، السيدة الخمسينية، قبل السادسة صباحاً مع كلابها الثلاثة الضخمة، من فصيلة «الراعي الألماني»، كما يسميها الأميركيون، و«شيان لو» كما يسميها اللبنانيون. تسير في نفس الشارع لترويضهم بعد ليلة كاملة من الدوران داخل الشقة. باتت ظليفتها الوحيدة، بعد فقدان مركزها كممرضة في مستشفى الأمراض العقلية في كوينز قبل عام، البحث عن قوارير بلاستيكية فارغة تبيعها لمركز إعادة التدوير، لكي تحافظ على بقاء الكلاب ورفاهيتها، وعلى إزعاج الجيران. الحياة من دون الكلاب انتحار. ماذا قد تفعل كل هذا الوقت وحدها؟ أخوها الوحيد يقاضيه في المحكمة لانتراع الشقة التي تسكنها. أنفقت على القضية كل ما ادخرته، وتكاد تخسرهما. لا عجب أن تجن، وأن تطلق العنان لجنونها. اقتربت الساعات الأخيرة من نهاية السنة الميلادية 2012. لم ينته العالم مع نهاية روزنامة الأنكا. ربما انتهى بالنسبة للهندي سوناندو سين على يد أريكا مننديز، التي رمته نحو القطار ثاراً لـ«غزوة مانهاتان».

وانتهى العالم بالنسبة لأطفال مدرسة كنتيكت العشرين، وبالنسبة لمدرسيهم ومدرساتهم التسع الذين قتلهم مجنون في العشرين من عمره يدعى آدم لانزا. وربما بالنسبة لسكان حي بريزي بوينت، في منطقة السروك أوي، الذي التهمه إعصار ساندي قبل أسابيع، فيما لا يزال سكانه وسكان أحياء عديدة هائمين على وجوههم بعد نفاذ أموال الإغاثة. لا يتعلق الموضوع بالخبز اليومي؛ فالخوف على المستقبل بدأ منذ ليلة نهاية السنة مع بحث مستقبل الرواتب والميزانية الاتحادية. كل شيء هنا يتوقف على الرواتب وكوبونات الإعاشة، التي تأتي في نهاية كل شهر أو أسبوع. حتى المتسول الأميركي في الشارع ينتظرها لأن من يساعده على البقاء لا بد

أن يقبضوا أولاً. الأثرياء من الحزين تركوا الأمور معلقة للساعة الأخيرة. كل شيء يخضع للصفقات هنا، ولا أحد يخشى ثورة الجياع. إنهم يعلمون أن الأميركيين مفككون أكثر من العرب. هكذا برهنت حركة «احتلوا وول ستريت». تستطيع أن تحرك ميدان صناع وميدان التحرير وحي الميدان في دمشق، لكن لا تستطيع إيجاد ميدان واحد في نيويورك للاعتصام به ولا يكون ملكية لشخصية أو لشركة. تفسير التفكك الأميركي لا يمكن أن يكون من خلال كتب ابن خلدون أو ماركس، بل في سينما هوليوود. منذ سنوات والأميركيون يشاهدون مواسم من مسلسل الرعب «الموتى السائرون» للكاتب فرانك دارابونت. عُرض الموسم الأول منه في تشرين الأول 2010، والآن بدأ

عرض الموسم الثالث، وينتظر أن تستمر المواسم تبعاً أكثر من مسلسل وادي الذئاب التركي. إنها قصة مجتمع أميركي أصيب بمرض غامض، حوّل غالبية الأميركيين إلى وحوش ميتة دماغياً، لكن أجساد متحركة، تحاول افتراس الفئّة الضعيفة منها. العمل التلفزيوني لا يتقطع فيه إطلاق الرصاص على رؤوس الأطفال والنساء والشيوخ والرجال غير المسلحين. ولا يتوقف القتل بالفؤوس والسواطير والسيف وحتى بالآوتاد وتهشيم الرؤوس بهراوات البيسبول. هذا المسلسل يحظى بأعلى نسبة مشاهدة بين المسلسلات التلفزيونية الأميركية قاطبة. تلقى أعلى الجوائز على الإطلاق، ووضّح على أعلى سلم الدرجات في مقياس «نيلسون». مشاهدوه عبر شبكة

## كارهون ومختلون في الشوارع

في محطة قطارات الأنفاق القريبة في شارع 40 من جادة كوينز، دفعت أريكا مننديز (31 عاماً) مساء الخميس الماضي المهاجر الهندي سوناندو سين (46 عاماً) ثاراً لـ«غزوة مانهاتان». قيل إنها تكره المسلمين. ولا تعرف لماذا تكره الهنود منذ أيلول 2001. عندما شنت مجموعة بن لادن السعودي الهجوم، كانت أريكا في التاسعة عشرة. لكنها لم تنس، واختارت الانتقام قبيل نهاية 2012.

ألقي القبض على أريكا يوم السبت، أي بعد يومين على ارتكاب الجريمة. وفي اليوم التالي، واجهت أريكا حساباً سريعاً في المحكمة بتهمة القتل بدافع الكراهية، ما يعطيها خمس سنوات سجن إضافية فوق الحكم المؤبد، الذي

يصل إلى 15 عاماً. في تقرير نُشر أخيراً، يتبين أن عدد المجانين في شوارع نيويورك تضاعف أربع مرات بعد الإحصاء ساندي عما كان عليه قبله. والسبب أن المرضى الذين تحولوا إلى مشردين بعد تدمير أحياء

بأكملها لا يجدون أماكن لهم في المستشفيات. مستشفيات كانت تعاني في الأساس، وقبل الأزمة المالية من ضعف الموازنة ولا تستقبل المجانين بسهولة. كثيرون منهم من أمثال آدم لانزا يكرهون أطفال المدارس والأمهات والمدرسين والمدرسات. وآخرون منهم مثل أريكا مننديز يكرهون المسلمين والهنود. وفي مجتمع يعجز عن رعاية المختلين عقلياً واحتضانه في مصحات، يصعب التمييز بين العاقل وفاقد العقل.



الكابل يحصون بعشرات الملايين، مع أن مشاهدته لا تصلح لمن هم دون 16 سنة. لهذا المسلسل الجنوني أبعاد كثيرة من حيث علاقة الأميركيين بالمدينة والبندقية وبالأخر. تكون فيه المدينة الخراسانية عبارة عن غابة تقفز منها الوحوش البشرية البشعة المكشرة عن أنيابها من كل سطح بناية أو مرآب في أسفلها، وعند كل إشارة مرور. وحوش بعمر الأطفال أو الشيوخ، من البيض والسود والإسبان والهنود. وحوش مزرعة بالدماء تنهش الأحشاء بأشع الصور.

مقابل صورة المدينة الغاية، هنالك صورة البز الأميركي بغاباته الطبيعية وأنهاره وجباله وأوديته الخلابة. ذلك البز البكر النائي عن المدينة يخترن الفردوس الموعود. لكن فقط لفترة من الوقت. الوحوش تتسلل إليه بعد حين. إليه لاذت فئة من الناجين مبتعدة عن عدوى المرض الغامض. تلك الفئة مؤلفة من بطل من رجال الأمن، وطبيب أبيض طيب. هذه المجموعة الطبية تتعرض للهجوم من مجتمع الوحوش المجنونة، وعليها الدفاع عن نفسها بالقتل المستمر طيلة النهار والليل.

هذا المسلسل الأميركي الطويل يعطل كل حجة لدى المطالبين بوضع حد لامتلاك السلاح الفردي. الأميركيون يتعاطون مع الخيال بكثير من الاعتناق، كما لو أنه واقع. ربما يكون من الصعب أن تقنع بعض الأميركيين أن أبطال «والت ديزني» غير موجودين في حيز الواقع. وبدون سلاح كيف تدافع هذه الفئة الطبية عن نفسها إذا ما جن جنون الرعاع؟

إنها معادلة بين نخبة فاضلة ناجية من حقها أن تدافع عن نفسها ضد مجتمع أكثر سوءاً وخطراً من مجتمع «مزرعة الحيوانات» لجورج أورويل. إنه مجتمع من الأنفس العائدة من المقابر، فلا ضير من إعادتها إليها. بل الخير كل الخير في ذلك. لم تخرج النازية الألمانية بفكرة أكثر شيطانية مما يعرضه هذا المسلسل. والأميركي يرقص حتى من دون دق. ألا يقتل بالطائرات بدون طيار من القواعد الأميركية في أي بقعة من العالم على الشبهة فقط؟